# من جوانب الصدق الإلهى

# فى

# القرآن الكريم

د / سليم حسن حنفى

# من جوانب الصدق الإلهي فى القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ، سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهدية وسلك سبيله واقتفى أثره إلى يوم الدين ... وبعـــــــد

فإن القرآن الكريم ، لا يخلق على كثيرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجـــر[1] ، دعا إلى كل خير ، وحث على كل فضيلة ، ونهى عن كل رذيلة ، وعلى رأس الفضائل التى حث عليها ، فضيلة الصدق ، وقد عقدت النية ــ مستعيناً بالله تعالى ــ على أن أنال شرف المساهمة ، بتشريف يدى ، وإجلاء بصرى ، وتعطير أنفاسى ، بـــدوام النظـــر ، وإعمـــال الفكر ، فى آيات الذكر ، أروى القلب ، وأمتع العقل ، من قطوفـــه الدانيـــة ، وفيوضاتـــه الرابية ، وثماره اليانعة ، فتخيرت بعض قبساته ، أتدبرها ، متناولاً :

جوانب من الصدق الإلهى فى القرآن الكريم ، وهى كثيرة ، بحيـــث لا يســـتوعبها بحثى هذا ، لذا فسوف اقتصر فيه على بيان بعضها ، واعداً ببيان البعض الآخر فى بحـــث آتى ــ إن شاء الله تعالى ــ وقد فرضت على معالجتى لهذا البحـــث ــ أن أســـير فيـــه ــ بمشيئة الله تعالى ــ على النحو الآتى :-

أولا : التمهيد : التعريف بالصدق فى اللغة والاصطلاح .

ثانيا : المبحث الأول : صدق الله ــ تعالى ــ فيما أخبر به وأوحى .

ثالثا : المبحث الثانى : صدق الله ــ تعالى ــ فى الرؤيا .

هذا وقد راعيت فى هذا البحث الإيجاز مع مراعاة الإفادة ، فإن وجازة الموضـوع ، تعين على استيعابه وفهمه ، وتيسر الانتفاع به ، والعمل بمضمونه ، فالله اسأل أن يعلمنـــا ما ينفعنا ، وأن ييسر لنا الانتفاع بما يعلمنا ، وأن يلهمنا الرشد والتوفيـــق ، وأن يـــهدينا سواء السبيل ، وأن يجعلنا من خدمة كتابه المبين ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم عليهم مـــن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم آمين !!

---

[1] جزء من حديث رواه الترمذى فى سننه ك : ثواب القرآن ب : ما جاء فى فضل القرآن ٣١/١١ ط : دار إحياء التراث العربى بيروت .

## التمهيـــــد

- تعريف الصدق لغة واصطلاحاً :-

أـــ الصدق فى اللغة .

ب ـــ الصدق فى الاصطلاح .

تعريف الصدق لغة واصطلاحاً :-

### أ ـــ الصدق فى اللغة :-

الصدق ـــ لغة ـــ ضد الكذب ، وقد صدق فى الحديث يصدق ـــ بالضم ـــ صدقـــاً . ويقال أيضاً : صدقه الحديث . وتصادقا فى الحديث وفى المودة[١] .

وفى المعجم : ( الصدق : مطابقة الكلام للواقع . بحسب اعتقـــاد المتكلـــم . و ـــ : الصلابة والشدة . ويقال : رجل صدق وامرأة و ـــ : الأمر الصالح لاشية فيه من نقـــص أو كذب )[٢] .

### ب ـــ الصدق اصطلاحاً :

عرف الصدق بتعريفات كثيرة ، نذكر بعضاً منها : قيل : هو قول الحق فى مواطـــن الهلكة . وقيل : أن تصدق فى موضع لا ينجيك منه إلا الكذب . وقال القشيرى : الصدق أن لا يكون فى أحوالك شوب ولا فى اعتقادك ريب ، ولا فى أعمالك عيب . وقيل : الصدق هو ضد الكذب ، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان .)[٣]

وذكر ابن قيم الجوزيه فى حقيقة الصدق أقوالاً منها :-

قال عبد الواحد بن زيد : الصدق : الوفاء لله بالعمل . وقيل : موافقة السر النطق . وقيل استواء السر والعلانية . وهذا قريب فى المعنى من سابقه . وقال صاحب المنـــازل : الصدق : اسم لحقيقة الشئ حصولاً ووجوداً )[٤] .

---

(١) مختار الصحاح للرازى ص : ١٥١ باب الصاد مادة صدق ط : مكتبة لبنان .

(٢) المعجم الوجيز ـــ مجمع اللغة العربية ص : ٣٦٢ . ط : وزارة التربية والتعليم .

(٣) التعريفات للجرجانى ص : ١٣٢ ط : دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزيه ج : ٢ ص : ٥٨٥ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ط : دار الحديث .

ثم شرح ــ رحمه الله ــ هذا التعريف فقال : الصدق : هو حصول الشئ وتمامه ، وكمال قوته ، واجتماع أجزائه ، كما يقال عزيمة صادقة . إذا كانت قوية تامة . وكذلك محبة صادقة . وإرادة صادقة . وحلاوة صادقة . إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة . لم ينقص منها شئ .

ومن هذا أيضاً : صدق الخبر . لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته فى ذهن السامع . فالتمام والوجود نوعان : خارجى . وذهنى . فإذا أخبرت المخاطب بخبر صادق حصلت له حقيقة المخبر عنه بكماله وتمامه فى ذهنه )[1] .

## تعقيب على التعريفات السالفة للصدق :

ومن خلال تلك التعريفات السابقة ــ التى عرف بها العلماء الصدق ــ يتبين لنا أن الصدق أنواعاً متعددة ،وأقساماً كثيرة ، منها الصدق فى القول : أى مطابقة الخبر للواقع . والصدق فى العمل : أى إتقانه وإيجاده على الوجه الأكمل الصحيح . والصدق فى الأمر الصالح : بحيث يكون لاشية فيه من نقص أو كذب . والصدق فى الصلابة والشدة : تمامها بحيث لا يعتريها لين أو ضعف . والصدق فى الشجاعة : أى رباطة الجأش والتخلص من الجبن . والصدق فى الأحوال : بمعنى ألا يكون فيها شوب . والصدق فى الحال : بمعنى استواء السر والعلانية . والصدق فى الاعتقاد : بمعنى ألا يكون فيه ريب . والصدق فى الأعمال : بمعنى ألا يكون فيها عيب . والصدق فى النية : أى خلاصها لله تعالى دون من سواه . والصدق فى الوعد : أى إنجازه والوفاء به . والصدق فى المودة والمحبة والعزيمة والإرادة والاخوة : أى تمام كل واحدة منها وكمال قوتها واجتماع أجزائها وثبات حقيقتها . وهكذا الصدق فى كل شئ : حصوله وتمامه ، وكمال قوته ، واجتماع أجزائه دون نقص أو عيب .

---

[1] المرجع السابق .

## المبحث الأول : صدق الله تعالى فيما أخبر به وأوحى :-

إن الصدق لمن أنبل الصفات ، وأسمى الأخلاق ، وأكمل الفضائل ، وأجل المكارم ، وأعظم المناقب ، وله فى القرآن الكريم جوانب كثيرة ، ويأتى فى المقدمة من تلك الجوانب ، صدق الله جل وعلا ، أى الصدق الإلهى ، حيث إن الصدق المطلق صفة الله تعالى اللازمة ، وخلقه الدائم ، وهو من الأمور التى تجب فى حق الله سبحانه ، ويستحيل عليه ضدها ، وهو الكذب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وإلا فكيف يكون الإله الحق كذاباً ؟ وكيف يقبل الناس على عبادة إله يصدر منه الكذب ؟ كيف وأمر الألوهية مبنى على الصدق البحت الذى لا يحوم الكذب حول حماه ؟ كيف وعبادة الله تعالى قائمة على الحب[١] والتصديق التام بوعد الله ووعيده ، والترغيب والترهيب والجزاء والعقاب ، والجنة والنار ولا يتأتى التصديق من أناس بوعد إله ووعيده وجزائه وعقابه ، وترغيبه وترهيبه وجنته وناره ، إلا إذا كان هذا الإله صادقاً ، لا يصدر منه إلا الصدق فى تلك الشئون وغيرها ، ولا يسلك الكذب إليه سبيلاً فإن وعد وأوعد صدق ، وإن رغب ورهب صدق[٢] ، وإن قال صدق ، بمعنى أن ذلك كله لابد وأن يتحقق ويحدث فى المستقبل ، أو يكون قد تحقق وحدث فعلاً فى الماضى أو فى الحاضر ، لأن الله الإله الحق قال ذلك ، وإلا ضاع مفهوم الألوهية ، وانقطعت الأحبال بين العابد والمعبود ، فإذا ذكر الله تعالى ، ذكر الصدق المطلق الصدق المجرد من كل كذب ، الصدق الذى لا يداخله خداع ولا كذب ولا يتطرق إليه أبدا . فالله تعالى صادق فى قوله وفعله ، صادق فى وعده ووعيده ، صادق فى شئونه كلها سبحانه ، هذا وجوانب الصدق الإلهى كثيرة ومتعددة ـ كما ذكرت من قبل ـ وسأتناول بمشئية الله تعالى فى هذا البحث المتواضع موضعا واحدا فى القرآن الكريم كدليل قوى على ما ذكرته ، وعسى أن تتاح لى الفرصة فى المستقبل إن شاء الله تعالى لذكر المزيد والمزيد

---

[١] قال تعالى : [ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ] آل عمران / ٣١ . وقال تعالى : [ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله .. ] البقرة / ١٦٥ .

[٢] قد يتخلف الوعيد بالشر لكن لا على أنه كذب ، وإنما هو تكرم منه سبحانه وتعالى على من أوعده به .

لاستكمال ما بدأته فى هذا العرض وفاء بما وعدت القارئ به فى مقدمة هذا البحث ، وبعد هذا الإجمال فإلى التفصيل عبر الأسطر الآتية :-

## ما ورد من بعض الآيات منوهة بصدق الله فيما أخبر به :-

ومما ورد من بعض الآيات فى هذا الشأن قوله تعالى : [ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ][1] .

## المناسبة بين هذه الآية وما قبلها :-

لما ذكر تعالى الجواب عن أباطيل أهل الكتاب ، ودفع الشبهات التى أوردوها حول النبوة والرسالة وصحة دين الإسلام .ذكر هنا بيان صدق الله تعالى فى أن سائر الأطعمة كانت حلالاً لبنى إسرائيل ، وإنما حرم عليهم لحوم الإبل وألبانها لأن إسرائيل ـ وهو يعقوب عليه السلام ـ حرم ذلك على نفسه فصار حراماً عليه وعلى أولاده بعد أن كان حلالاً لهم[2]

## أقوال العلماء فى تفسير هذه الآية :-

قال الطبرى : ( يعنى بذلك جل ثناؤه : " قل " يا محمد " صدق الله " فيما أخبرنا به من قوله : " كل الطعام كان حلالاً لبنى إسرائيل " وأن الله لم يحرم على إسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الإبل وألبانها ، وأن ذلك إنما كان شيئاً حرمه إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم فى التوراة . ـ وصدق الله فى كل ما أخبر به عباده من خبر ، دونكم ، وأنتم ، يا معشر اليهود ، الكذبة فى إضافتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم فى التوراة ، المفترية على الله الباطل فى دعواكم عليه غير الحق ، فإن كنتم أيها اليهود محقين فى دعواكم أنكم على الدين الذى ارتضاه الله لأنبيائه ورسله فاتبعوا ملة إبراهيم خليل الله ، فإنكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضاه الله من خلقه ديناً ، وانبعث به أنبياءه ،

---

[1] سورة آل عمران / ٩٥

[2] راجع تفسير الرازى ج : ٤ ص : ٣٣٥ ط : الغد . بتصرف . وانظر صفوة التفاسير ـ الصابونى ج : ٢ ص : ٢١٧ ط : مكتبة الغزالى . بتصرف .

ذلك الحنيفية ـ يعنى الاستقامة على الإسلام وشرائعه ـ دون اليهودية والنصرانية المشركة .

وقوله : [ وما كان من المشركين ] يقول : لم يكن يشرك فى عبادته أحداً من خلقه فكذلك أنتم أيضاً ، أيها اليهود ، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله تطيعونهم كطاعة إبراهيم ربه ، وأنتم يا معشر عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أرباباً ، ولا تعبدوا شيئاً من دون الله ، فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العبادة لربه وحده من غير إشراك أحد معه فيه . فكذلك أنتم أيضاً فأخلصوا له العبادة ، ولا تشركوا معه فى العبادة أحداً ، فإن جميعكم مقرون بأن إبراهيم كان على حق وهدى مستقيم ، فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الحنيفية ، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها ، أيها الأحزاب ، فإنها بدع ابتدعتموها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حق ، فإن الذى أجمعتم عليه أنه صواب وحق من ملة إبراهيم ، هو الحق الذى ارتضيته واتبعث به أنبيائى ورسلى وسائر ذلك هو الباطل الذى لا أقبله من أحد من خلقى جاءنى به يوم القيامة .

وإنما قال جل ثناؤه : [ وما كان من المشركين ] يعنى به : وما كان من عددهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعض فى التظاهر على كفرهم ، ونصرة بعضهم بعضاً ، فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم أو من نصرائهم وأهل ولايتهم ، وإنما عنى جل ثناؤه بالمشركين ، اليهود والنصارى وسائر الأديان ، غير الحنيفية ، قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة ، ولكنه كان حنيفا مسلما )[١] .

وقال الإمام الرازى ـ بعد تفسيره لقوله تعالى : [ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ][٢] ـ ثم قال تعالى [ قل صدق الله ] ويحتمل وجوها :

الأول : [ قل صدق الله ] فى أن ذلك النوع من الطعام صار حراماً على إسرائيل وأولاده بعد أن كان حلالاً لهم . فصح القول بالنسخ ، وبطلت شبهة اليهود .

---

[١] تفسير الطبرى ج : ٣ ص : ٥٠٦ ط : الغد .

[٢] سورة آل عمران / ٩٤

الثانى : [ صدق الله ] فى قوله : إن لحوم الإبل وألبانها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام . وإنما حرمت على بنى إسرائيل ، لأن إسرائيل حرمها على نفسه ، فثبت أن محمدا ﷺ لما أفتى بحل لحوم الإبل وألبانها ، فقد أفتى بملة إبراهيم .

الوجه الثالث : [ صدق الله ] فى أن سائر الأطعمة كانت محللة لبنى إسرائيل وأنها إنما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم .

ثم قال تعالى : [ فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ] . أى اتبعوا ما يدعوكم إليه محمد صلوات الله عليه من ملة إبراهيم . وسواء قال : ملة إبراهيم حنيفا ، أو قال : ملة إبراهيم الحنيف لأن الحال والصفة سواء فى المعنى .

ثم قال تعالى : [ وما كان من المشركين ] أى لم يدع مع الله إلها آخر ، ولا عبد سواه ، كما فعله بعضهم من عبادة الشمس والقمر ، أو كما فعله العرب من عبادة الأوثان أو كما فعله اليهود من إدعاء أن عزيزا ابن الله ، أو كما فعله النصارى من إدعاء أن المسيح ابن الله ، والغرض منه بيان أن محمدا صلوات الله عليه على دين إبراهيم عليه السلام فى الفروع والأصول .

أما فى الفروع : فلما ثبت أن ما حكم بحله كان إبراهيم قد حكم بحله أيضا ، وأما فى الأصول فلأن محمدا صلوات الله وسلامه عليه لا يدعو إلا إلى التوحيد ، والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى ، وما كان إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه إلا على هذا الدين)[1] .

## حكاية الآية وقصتها :

ترجع حكاية هذه الآية ، أو قصتها ، أو المحور الذى تدور حوله ، أو الجو الذى تصور واقعه وتلقى الضوء عليه ، إلى أن اليهود كانوا دائما يتصيدون كل شبهة للطعن فى صحة نبوة محمد ﷺ وخلط الأفكار ، فلما جاء فى القرآن : أنه مصدق لما فى التوراة ،

---

[1] تفسير الإمام الرازى ج : ٤ ص : ٣٤٢ ــ ٣٤٣ ط : دار الغد .

برزوا يقولون : فما بال القرآن يحلل من الطعام ما كان حراما على بنى إسرائيل ؟ وهنا يردهم القرآن إلى حقيقة يتجاهلونها للتشكيك فى صدق القرآن .

هذه الحقيقة هى : أن كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل ـ وهو يعقوب عليه السلام ـ إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وذلك أنه مرض مرضا شديدا ـ على ما ورد فى الروايات ـ فنذر لله لئن عافاه ليمتنعن ـ تطوعا ـ عن لحوم الإبل وألبانها وهما أحب شيء إلى نفسه ، فقبل الله منه نذره ، وجرت سنة بنى إسرائيل على اتباع أبيهم فى تحريم ما حرم ، كذلك حرم الله على بنى إسرائيل ، مطاعم أخرى ، عقوبة لهم على مظالم ارتكبوها ، وكانت قبل هذا التحريم حلالا لهم[١] .

يردهم الله تعالى إلى هذه الحقيقة ، ليبين لهم أن الأصل فى هذه المطاعم ، هو الحل ، وأنها إنما حرمت عليهم لملابسات خاصة بهم ، فإذا أحلت للمسلمين فهذا هو الأصل ، الذى لا يثير الشك فى صحة ما جاء فى القرآن ، فأنكر اليهود ذلك ، فأمرهم النبى ﷺ بإحضار التوراة ، وطالبهم باستخراج آية منها تدل على ادعائهم أن لحوم الإبل وألبانها كانت حراما على إبراهيم عليه السلام قديما ، فامتنعوا عن ذلك ، ففضحوا وظهر عندئذ أنهم كانوا كذابين فى ادعائهم هذا ، وثبت صدق الله تعالى فى قوله : إن لحوم الإبل وألبانها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام ـ وإنما حرمت على بنى إسرائيل ، لأن إسرائيل حرمها على نفسه ، ثبت صدق الله فى هذا الشأن وغيره ، وأن اليهود هم الكذبة المفترون الكذب على الله سبحانه ، ولو أنهم أتوا بالتوراة ، وقرأوها لوجدوا فيها أن أسباب التحريم خاصة بهم ، وليست عامة )[٢] .

## البلاغيات وأسرار التعبير :

لقد حازت هذه الآية الكريمة من فنون التعبير وأسراره مالا مزيد عليه ، وقد أشار إلى بعض تلك الفنون صاحب التحرير حيث قال : ( ثم أعلن أن المتعين فى جانبه الصدق هو خبر الله تعالى للجزم بأنهم لا يأتون بالتوراة ، وهذا كقوله : [...ولن يتمنوه أبدا ..][٣]

---

[١] راجع الآية : ١٦٠ من سورة النساء . والآية : ١٤٦ من سورة الأنعام .

[٢] فى ظلال القرآن الكريم ـ سيد قطب ج : ١ ص : ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ط : دار الشروق بتصرف وزيادة .

[٣] سورة البقرة جزء من الآية /٩٥

وبعد أن فرغ من إعلان كذبهم بالحجة القاطعة قال : [ قل صدق الله ] وهو تعريض بكذبهم لأن صدق أحد الخبرين المتنافيين يستلزم كذب الآخر ، فهو مستعمل فى معناه الأصلى والكنائى .

والتفريغ فى قوله تعالى : [ فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ] تفريع على : ( صدق الله ) لأن اتباع الصادق فيما أمر به منجاة من الخطر )[١] .

وفى قوله : [ فاتبعوا ملة إبراهيم ] دعاهم النبى ﷺ إلى ملة إبراهيم( وهى ملة الإسلام ) لأنها ملة محمد ﷺ التى هو عليها ، فاتباعهم لملة إبراهيم يجعلهم متبعين له ﷺ لأن كليهما على الإسلام ، وإنما قال : ملة إبراهيم : ولم يقل ملتى ؟ طمعا فى دخولهم الإسلام وسرعة استجابتهم لدعوته ، لعلمه بحبهم لإبراهيم ، وتعلقهم به وتعصبهم له ، وقدره عندهم ، وعظيم منزلته فيهم ، قال لهم ذلك ، حرصا منه على إيمانهم ، متوقعا ـ بشدة ـ أنهم لا يترددون ساعة فى قبول دعواته ، لكن عكس ذلك قد حدث ، مع أنهم أعرف الناس بالرسالة الخاتمة ورسولها ، وزمانها ومكانها ، وعمومها ، فصدم فيهم النبى ﷺ صدمة عنيفة[٢] .

أقول : وفى قوله : [ وما كان من المشركين ] . تبرئة لإبراهيم عليه السلام مما نسبه اليهود والنصارى إليه ، من اليهودية والنصرانية ، وفيه تعريض بإشراكهم .

وفى توضيح هذا المعنى قال الجمل : قوله [ وما كان من المشركين ] أى فى أمر من أمور دينه أصلا وفرعا ، وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه ﷺ ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا . والغرض : بيان أن النبى ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام فى الأصول ، لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة من كل معبود سوى الله تعالى )[٣] .

## المعنى الإجمالى للآية :

والمعنى الإجمالى لهذه الآية : أن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ : قل يا محمد :صدق الله فى كل ما أوحى به إلى ، وفى كل ما أخبر به ، وفى كل ما شرعه فى القرآن ، فاتبعوا

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠/٤ ـ ١١ ط : تونس .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٢٩٧/١ ط : عيسى الحلبى بتصرف .

(٣) المرجع السابق .

ملة إبراهيم ، التى شرعها الله فى القرآن على لسانى ، فإنه الحق الذى لا شك فيه ، ولا مرية ، وهى الطريقة التى لم يأت نبى بأكمل منها ، ولا أبين ، ولا أوضح ، ولا أتم ، كما قال تعالى : [ قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ][1] وقال تعالى : [ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ][2] .

**تعقيب :**

نخلص من خلال دراسة وتفسير هذه الآية إلى أن لحوم الإبل وألبانها ، لم تحرم فى التوراة ، وبذلك تتفق مع ما أخبر الله به فى القرآن ، وأوحاه إلى نبيه ﷺ ، من أن هذه المطاعم ، لم ينزل الله تحريمها فى التوراة ، ولا فى القرآن ، وإنما التحريم صادر من يعقوب فقط تطوعا منه عليه السلام ، ونخلص من ذلك أيضا إلى أن من مفهوم الصدق : المطابقة للواقع فى الإخبار ، وتحقيق الخبر فى النفوذ فى الأمر والنهى ، والتشريع بالحل والحرمة ، فيشمل الصدق كل ما فى كلمات الله من نوع الإخبار عن شؤون الله تعالى وشؤون الخلائق ، ويؤيد ذلك حذف المعمول فى قوله :(صدق) فلم يقيده بشئ معين ، وإنما يفهم على إطلاقه بإثبات صفة الصدق له عز وجل .

المبحث الثانى : صدق الله ـ تعالى ـ فى الرؤيا :

والمراد بتلك الرؤيا ما يراه النائم ، وهى تختلف باختلاف الأشخاص فباعتبار البشر العاديين ثلاثة أنواع :-

١ ـ ما يحدث المرء به نفسه من الأمور المختلفة .

٢ ـ حلم من الشيطان[3] .

---

[1] الأنعام الآية : ١٦١

[2] النحل الآية : ١٢٣ ـ وينظر تفسير ابن كثير ٦٣/٢ ت : عبد العزيز غنيم وآخرين ط : الشعب . بتصرف .

[3] الحلم بضم المهملة وسكون اللام وقد تضم ، ما يراه النائم ، وإضافة الحلم إلى الشيطان بمعنى أنه يناسب صفته من الكذب والتهويل وغير ذلك . فتح البارى لابن حجر ٣٩٣/١٢ ط : دار المعرفة .

٣ ــ الرؤيا الصالحة الصادقة الحسنة وهى بشرى من الله تعالى كما جاء فيما أخرجه الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه مبينا فيه تلك الأنواع الثلاثة للرؤيا حيث قال : " .. الرؤيا ثلاث : حديث النفس ، وتخويف الشيطان ، وبشرى من الله "[١] .

وأخرج مالك فى الموطأ بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه ؛ أنه كان يقول فى هذه الآية : [ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ][٢] . قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح ، أو ترى له )[٣]

أما باعتبار الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فهى واحدة فقط ، وهى الرؤيا الصادقة لأنهم ــ عليهم السلام ــ لا تضرب ساحتهم الشياطين ، ولا يهتمون بأمور يحدثون بها أنفسهم لذا نلاحظ أن إبراهيم ــ عليه السلام ــ حينما رأى فى المنام أنه يذبح ولده إسماعيل ــ عليه السلام ــ اعتقد أنه وحى من الله تعالى ولابد من تنفيذه فاستشار ولده فى ذلك ــ كما حكاه القرآن الكريم عنه . يقول : [ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى .. ][٤] وأدرك الأبن المعد للنبوة أن الله أمر أباه بذبحه فاستسلم لأمر الله تعالى فقال : [ .. قال يا أبتى افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ][٥] .

قال فى الفتح : ورؤيا الأنبياء وحى بخلاف غيرهم ، فالوحى لا يدخله خلل ، لأنه محروس بخلاف رؤيا غير الأنبياء ، فإنها قد يحضرها الشيطان . وقال الحكيم : وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على أحوال بنى آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ، ويضرب لكل على قصته مثلا ، فإذا نام مثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى ، أو نذارة أو معاتبة ، والآدمى قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ، ويريد إفساد أموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه إما بتخليط فيها ، وإما بغفلته عنها )[٦] .

---

[١] صحيح البخارى بشرح فتح البارى ك : التعبير ب : القيد فى المنام ٤٠٤/١٢

[٢] يونس / ٦٤

[٣] الموطأ ك : الرؤيا . ب : ما جاء فى الرؤيا ٧٢٩/٢ ط : دار الحديث

[٤] الصافات / ١٠٢

[٥] الصافات / ١٠٢

[٦] فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٣٥٤/١٢

ثم جميع المرائى تنحصر على قسمين : الصادقة وهى رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين ، وقد تقع لغيرهم بندور وهى التى تقع فى اليقظة على وفق ما وقعت فى النوم ، والأضغاث : وهى لا تنذر بشئ وهى أنواع :

الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائى كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه ، أو رأى أنه واقع فى هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك .

الثانى : أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا .

الثالث : أن يرى ما تتحدث به نفسه فى اليقظة ، أو يتمناه فيراه كما هو فى المنام وكذا رؤية ما جرت به عادته فى اليقظة ، أو ما يغلب على مزاجه ويقع عن المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا ، وعن الماضى قليلا )[١] .

أيضا فى بيان أنواع الرؤيا ودرجات الناس فى أمرها قال المهلب : قد يرى الصالح الأضغاث ، ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منه ، بخلاف عكسه فإن الصدق فى رؤياه نادر لغلبة تسلط الشيطان عليه .

قال : فالناس على هذا ثلاث درجات : الأنبياء ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير . والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها مالا يحتاج إلى تعبير ، ومن عداهم يقع فى رؤياهم الصدق والأضغاث ، وهم على ثلاثة أقسام : مستورون : فالغالب استواء الحال فى حقهم . وفسقة : والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق ، وكفار ويندر فى رؤياهم الصدق جدا )[٢] .

وأقول : وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار ، كما فى رؤيا صاحبى السجن مع يوسف ـ عليه السلام ـ ورؤيا ملكهما عزيز مصر وغير ذلك[٣] .

وبذلك نكون قد وقفنا على أقسام الرؤيا ، وأنواعها ، ودرجات الناس فى شأنها قبل الأخذ فى تفسير ما ورد فيها من آيات الذكر الحكيم هذا ورؤيا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ

---

[١] المرجع السابق بتصرف

[٢] نفسه : ١٢ / ٣٦٢

[٣] راجع الآيات : ٣٦ ـ ٤٩ من سورة يوسف .

وما يكون لبعض البشر من الرؤيا الصالحة ، وهى أحد الأقسام الثلاثة السابقة هى ما أعنيها فى هذا المبحث .

## ما ورد من الآيات منوهة بصدق الله فى الرؤيا :

وقبل أن أذكر تلك الآيات التى نوهت بصدق الله تعالى فى الرؤيا أود أن أبين مفهوم الرؤيا فى اللغة والاصطلاح ، وآراء العلماء فى ذلك حتى نكون على بينة من هذا الأمر فأقول :-

## الرؤيا فى اللغـــة :-

الرؤيا لغة : بوزن فعلى ، وقد تسهل الهمزة قاله الراغب . وقال الواحدى : هى فى الأصل مصدر كاليسرى ، فلما جعلت اسما لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء )[١] .

وفى الصحاح : رؤيا على فعلى بلا تنوين . وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين بوزن رعى )[٢] .

الرؤيا فى الاصطلاح : أما الرؤيا فى الاصطلاح : فهى ما يراه الشخص فى منامه . وقال القاضى أبو بكر بن العربى : الرؤيا : إدراكات علقها الله تعالى فى قلب العبد على يدى ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أو حقيقتها ، وإما بكناها : أى : بعبارتها ، وإما تخليط ، ونظيرها فى اليقظة الخواطر ، فإنها قد تأتى على نسق فى قصة ، وقد تأتى مسترسلة غير محصلة )[٣] .

وقيل : إن الرؤيا إدراك أمثلة منضبطة فى التخيل جعلها الله أعلاما على ما كان أو يكون )[٤] .

وكل هذه التعريفات متقاربة فى المعنى ؟ إذ مؤداها إلى معنى واحد وهو ما يراه الرائى فى منامه من مشاهد تدل بنفسها ، أو بما ترمز إليه على أمور قد مضت ، أو جارية أو سوف تجرى . وقد تطلق الرؤيا على الرؤية بالهاء : وهى إدراك المرء بحاسة البصر

---

(١) فتح البارى لابن حجر ٣٥٢/١٢

(٢) مختار الصحاح للرازى ٩٦ مادة رأى .

(٣) فتح البارى لابن حجر ٣٥٢/١٢

(٤) نفسه ٣٥٣/١٢

وفى توضيح ذلك قال ابن حجر فى الفتح : قال بعض العلماء : قد تجئ الرؤية بمعنى الرؤيا كما فى قوله تعالى : [ .. وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس .. ][١] فزعم أن المراد بها ما رآه النبى ﷺ ليلة الإسراء من العجائب ، وكان الإسراء جميعه فى اليقظة. قلت[٢] : وعكسه بعضهم فزعم أنه حجة لمن قال : إن الإسراء كان مناما والأول المعتمد ، وقد تقدم فى تفسير الإسراء قول ابن عباس : إنها رؤيا عين[٣] ، ويحتمل أن تكون الحكمة فى تسمية ذلك رؤيا لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة فاشبهت ما فى المنام )[٤] .

ولا خلاف بين أئمة التفسير فى أن المراد بالرؤيا فى هذه الآية إنما هى الرؤية بالبصر حيث قال الصابونى فى تفسيرها : أى وما جعلنا الرؤية التى أريناكها عيانا ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء ، إلا ابتلاء وامتحانا لأهل مكة حيث كذبوا وكفروا وارتد بعض الناس لما أخبرهم بها قال البخارى عن ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به[٥] ، وليست برؤيا منام[٦] .

هذا وبعد أن عرفت بالرؤيا لغة واصطلاحا وأشرت إلى أنها قد تطلق على ما يرى بالعين فى اليقظة أبدأ بعون الله تعالى فى تفسير بعض الآيات التى نوهت بصدق الله تعالى فى الرؤيا فمن تلك الآيات قوله تعالى : [ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ][٧] .

---

[١] الإسراء الآية : ٦٠

[٢] القائل : قلت هو ابن حجر العسقلانى .

[٣] راجع فتح البارى لابن حجر ٣٩٨/٨

[٤] السابق ٣٥٢/١٢

[٥] قد سبق ذكر ذلك والإشارة إلى مصدره فى الهامش قبل السابق .

[٦] صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى ٧٦٢/١٥ وأنظر تفسير الطبرى ١١٠/١٥

[٧] الفتح الآية : ٢٧

**المناسبـــــة :-**

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها : أن الله تعالى ذكر فى الآيات السابقة لهذه الآيـة صد المشركين للمؤمنين عن المسجد الحرام وحبس الهدى عن السير إلـــى محـــل ذبحـــه الشرعى ، وكشف للمؤمنين عن جانب من حكمته تعالى فى كفهم عن المشركين ، وكـــف المشركين عنهم ، وعدم الإذن لهم فى القتال ، ووصف سوء دواخل قلوب المشركين ، التى هى على عكس قلوب المؤمنين ، التى أنزل الله عليها السكينة ، وعمرها بالتقوى .

بعد ذلك أكد للمؤمنين الذين خرجوا مستبشرين برؤيا رسول الله ﷺ فى المنام ، وقد هالهم ألا تتحقق ، وأن يردوا عن المسجد الحرام ، يؤكد لهم صدق هذه الرؤيا ، ويخبرهم أنـــها منه ، وأنها واقعة ولابد ، وأن وراءها ما هو أكبر من دخول المسجد الحرام أيضا )[١] .

**سبب النـــــزول :**

قال المفسرون : كان رسول الله ﷺ ، قد رأى فى منامه أنه دخل مكة هو وأصحابه وطافوا بالبيت ، ثم حلق بعضهم ، وقصر بعضهم ، فحدث بها أصحابه ففرحوا واستبشـروا ، فلما خرج إلى الحديبية مع الصحابة ، وصده المشركون عن دخول مكة ووقع ما وقع من قضية الصلح[٢] ، ارتاب المنافقون وقالوا : والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت ، فأين هى الرؤيا ؟ ووقع فى نفوس بعض المسلمين شئ فنزلت الآية : [ لقد صدق الله رســـوله الرؤيا بالحق ] . فأعلم تعالى أن رؤيا رسوله حق ، وأنه لم يكذب فيما رأى ، ولكنه ليـــس فى الرؤيا أنه يدخلها عام ست من الهجرة ، وإنما أراه مجرد صورة الدخول ، وقد حقـــق الله له ذلك بعد عام )[٣] .

**بيـــان المفردات :**

قوله : ( لقد ) : اللام موطئة للقسم ، وقد للتحقيق . أى والله لقد جعل الله رؤيـــا رســـوله صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لأنا رؤيا حق[٤] .

---

[١] ينظر فى ظلال القرآن لسيد قطب ٣٣٢٩/٦ . بتصرف .

[٢] أى صلح الحديبية وسماها ابن كثير وابن سعد غزوة الحديبية ، وقد تسمى عمرة الحديبية وســـيأتى بيـــان معنـــى الحديبية . انظر العرب وظهور الإسلام د / مصطفى النجار ص : ٤٩٧

[٣] تفسير الجلالين بهامش حاشية الجمل ١٧٠/٤ بتصرف وينظر المرجع التالى .

[٤] صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى ١٣٩٢/١٦

قال المرادى : جملة ما ذكره النحاة لـ " قد " خمسة معان : التوقع والتقريب ، والتقليل ، والتكثير ، والتحقيق . وترد للدلالة عليه ، مع الفعلين : الماضى والمضارع . فمع الماضى نحو : [ قد أفلح المؤمنون][١] ومع المضارع نحو : [ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ][٢] قال أبو حيان : والذى تلقناه من أفواه الشيوخ بالأندلس ، أنها ـ أى قد ـ حرف تحقيق ، إذا دخلت على الماضى ، وحرف توقع إذا دخلت على المستقبل . والحاصل أنها تفيد ،مع الماضى ، أحد ثلاث معان : التوقع ، والتقريب ، والتحقيق . ومع المضارع أحد أربعة معان التوقع ، والتقليل ، والتحقيق ، والتكثير )[٣] .

وأقول : إذا كانت " لما " حرف يفيد نفى ما هو متوقع فإن قد حرف يفيد تحقق وقوعه . فمن كان منتظرا وصول الإمام يقال له : لما يصل بعد ! فإن وصل ، يقال له : قد وصل الإمام . ودخول المسجد الحرام للمؤمنين منتظر مرتقب ـ لاسيما بعد أن أخبرهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ برؤيته ذلك فى المنام ـ فكانت قد لتحقيقه بعد انتظاره وتوقعه ولاشك أن المؤمنين ، كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى إخبارهم بدخول المسجد الحرام ، فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه .

قال الرازى : إن قد نقيضه " لما " فقد تثبت المتوقع وما تنفيه[٤]( صدق الله رسوله الرؤيا ) : أى : أنه تعالى أراه رؤيا صادقة ، لأن رؤيا الأنبياء وحى ، فآلت إلى معنى الخبر ، فوصفت بالصدق لذلك " بالحق " الغرض الصحيح والحكمة ، أى كانت رؤيا صادقة وكانت مجعولة محكمة .

[ محلقين رؤوسكم ومقصرين ] الحلق : إزالة الشعر كله والتقصير إزالة بعضه .

---

(١) المؤمنون الآية : ١

(٢) الأنعام الآية : ٣٣

(٣) الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى ص : ٢٥٥ ، ٢٥٩ ط : دار الكتب العلمية بيروت . ت : د / فخر الدين قباوة وآخر . وينظر رصف المبانى فى شرح حروف المعانى لأحمد المالقى ص : ٣٩٢ ط : المجمع اللغوى بدمشق . ت : أحمد الخراط

(٤) التفسير الكبير ٣٤١/١١ ط : الغد .

[ من دون ذلك فتحا قريبا ] دون هنا بمعنى غير ومن ابتدائية . أو بيانية والمعنى فجعل فتحا قريبا لكم زيادة على ما وعدكم به من دخول مكة آمنين . وهذا الفتح أوله هو فتح خيبر الذى وقع قبل عمرة القضية . وهذا القريب من وقت الصلح )[١] .

اللغويات والإعراب :

١ـ تعدية " صدق " إلى مفعولين ـ وهما : رسوله والرؤيا يحتمل يكون بنفسه كجعل ، ويحتمل أن يقال : عدى إلى الرؤيا بحرف تقديره صدق الله رسوله فى الرؤيا : وهو ما رجحه كثير من العلماء على الأول[٢] وعلى الأول معناه : جعلها واقعة بين صدق وعده ، إذ وقع الموعود به . وعلى الثانى معناه : ما أراه الله لم يكذب فيه .

وقوله : " بالحق " هو حال أو قسم أو صفة " صدق " وعلى كونه حالا تقديره : صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق . وعلى تقدير كونه صفة : صدقه صدقا متلبسا بالحق . وعلى تقدير كونه قسما ، إما أن يكون قسما بالله فإن الحق من أسمائه ، وإما أن يكون قسما بالحق الذى هو نقيض الباطل[٣] .

قوله " آمنين " حال من الواو المحذوفة من لتدخلن لالتقاء الساكنين ، أى حال مقارنة للدخول ، والشرط معترض ، والمعنى : آمنين فى حال الدخول لا تخافون عدوكم أن يخرجكم فى المستقبل وقوله " مقصرين " حال من الواو المحذوفة أيضا ، أو من الضمير فى آمنين ، فهى مترادفة على الأول ، ومتداخلة على الثانى .

وقوله " لا تخافون " يجوز أن يكون مستأنفا ، وأن يكون حالا ، إما من فاعل لتدخلن ، أو من الضمير فى آمنين ، أو فى محلقين أو فى مقصرين . فإن كانت حالا من آمنين ، أو من فاعل لتدخلن فهى للتوكيد )[٤] .

تفسير الجمل وبيان التراكيب :

قوله تعالى [ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ] .

---

[١] التحرير والتنوير لابن عاشور ٣/١٩٨ ـ ٢٠١

[٢] ينظر حاشية الجمل على الجلالين ٤/١٧٠ . والمصدر السابق ص : ١٩٨

[٣] التفسير الكبير للرازى ١٤/٣٤٧ ـ ٣٤٨ بتصرف .

[٤] حاشية الجمل ٤/١٧٠

سبق أن ذكرت فى سبب النزول أن رسول الله ﷺ رأى فى المنام أنه يدخل مكة ، فلما صالح قريشا بالحديبية[١] ، ارتاب المنافقون حتى قال رسول الله ﷺ : إنه يدخل مكة ، فأنزل الله تعالى [ لقد صدق الله رسوله الرؤيا ] فأعلمهم أنهم سيدخلون فى غير ذلك العام وأن رؤياه ﷺ حق ، وقيل : إن أبا بكر هو الذى قال : إن المنام لم يكن مؤقتا بوقت وأنه سيدخل)[٢] .

## هدف الآية ومقصدها :

ومما سبق يتبين لنا الهدف من هذه الآية والمقصد منها ، وفى ذلك يقول الرازى : هذه الآية بيان لفساد ما قاله المنافقون ، بعد إنزال السكينة على رسوله ، وعلى المؤمنين ووقوفهم عند ما أمروا به ، من عدم الإقبال على القتال ، وذلك قولهم : ما دخلنا المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا ، حيث كان ﷺ ـ كما سبق ذكره ـ رأى فى منامه أن المؤمنين يدخلون مكة ، ويتمون الحج ، ولم يعين وقتا ، فقص ، رؤياه على المؤمنين فقطعوا بأن الأمر كما رأى النبى ﷺ فى منامه ، وظنوا أن الدخول يكون عام الحديبية ، والله أعلم أنه لا يكون إلا عام الفتح[٣] فلما صالحوا ورجعوا ، قال المنافقون استهزاء : ما دخلنا ولا حلقنا )[٤] .

وفى ذلك أيضا قال ابن عاشور : هذه الآية استئناف بيانى ناشئ عن قوله [ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ] . ودحض ما خامر نفوس فريق من الفشل أو الشك أو التحير ، وتبين ما أنعم الله به على أهل بيعة الرضوان ، من ثواب الدنيا والآخرة إلى كشف شبهة عرضت للقوم فى رؤيا رآها رسول الله ﷺ ذلك أن رسول الله ﷺ رأى

---

(١) الحديبية : هى سهل منبسط به آبار ضحلة منثورة وأعشاب تعيش على مساقط المطر وتلتفه تلال وعرة المسالك ـ ويقال : إنها سميت الحديبية باسم بئر فيها أو قرية ، وهى بينها وبين مكة من جهة الشمال الغربى مرحلة واحدة والمرحلة ثلاثة أميال ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم ، انظر العرب وظهور الإسلام د / محمد مصطفى النجار ص : ٤٩٩

(٢) تفسير القرطبى ٦٣٤١/٩ ط : دار الغد .

(٣) والصواب أن الرؤيا قد تحققت عام سبع فى عمرة القضاء قبل الفتح بعام .

(٤) .التفسير الكبير ٣٤٧/١٤

رؤيا قبل خروجه إلى الحديبية ، أو هو فى الحديبية : كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين ، وحلقوا وقصروا . هكذا كانت الرؤيا مجملة ليس فيها وقوع حجة ولا عمـــرة ، والحلـق والتقصير مناسب لكليهما وقص رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابـــه ، فاستبشـروا بـــها وعبروها أنهم داخلون إلى مكة بعمرتهم التى خرجوا لأجلها ، فلما جرى الصلـــح وتـــأهب الناس إلى القفول ، أثار بعض المنافقين ذكر الرؤيا فقالوا : فأين الرؤيا فو الله مـــا دخلنـــا المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا ؟ فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه : إن المنام لم يكـــن مؤقتا بوقت ، وأنه سيدخل وأنزل الله تعالى هذه الآية )[١] .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا ، أن هذه الآية استهدفت دفع ما تقول به المنـــافقون شكا منهم فى صدق رؤيا رسول الله ﷺ والمعنى أن رؤيا رسول ﷺ حق وأن الله أوحـى إليه بها ، وأنها وإن لم تقع فى تلك القضية والسنة ، فستتحقق بعد ذلك .

كيف صدق الله رسوله الرؤيا :

نفهم من رؤيا رسول الله ﷺ التى قصها على أصحابه ، أنها تحمل خـــبرا بوعـد يشتاق إلى تحققه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهو دخول المسجد الحرام ، وهذا الموعود به صادق بدخولهم مكة بالعمرة سنة سبع ، وهى عمرة القضية ، فإنهم دخلوا المسجد الحـرام آمنين وحلق بعضهم ، وقصر بعضهم ، غير خائفين ، إذ كان بينهم وبين المشركين عهد ، وذلك أقرب دخول بعد هذا الوعد ، وصادق أيضا بدخولهم المسجد الحرام عام حجة الـوداع ، وعدم الخوف فيه أظهر . وأما دخولهم مكة يوم الفتح فلم يكونوا فيه محرمين .

قال مالك فى الموطأ بعد أن ساق حديث قتل ابن خطل يوم الفتح : " ولم يكن رسول الله ﷺ يومئذ محرما والله أعلم "[٢] .

ماذا رأى رسول الله ﷺ ؟

وفيما رآه رسول الله ﷺ قال الرازى : يحتمل أن يكون رأى فى منامه أن الله تعالى يقول : ستدخلون المسجد الحرام ، فيكون قوله " صدق " ظاهرا لأن استعمال الصدق فـــى

---

[١] التحرير والتنوير ١٩٧/٢٦ ــ ١٩٨

[٢] التحرير والتنوير ١٩٧/٢٦ ــ ١٩٨

الكلام ظاهر . ويحتمل أن يكون عليه الصلاة والسلام ، رأى أنه يدخل المسجد فيكون قوله تعالى : " صدق الله " معناه : أنه أتى بما يحقق المنام ، ويدل على كونه صادقا يقال : صدقنى سن بكره مثلا فيما إذا حقق الأمر الذى يريد من نفسه ، مأخوذ من الإبل إذا قيل له : هدع سكن ، فحقق كونه من صغار الإبل ، فإن هدع كلمة يسكن بها صغار الإبل[١].

هذا ورؤيا الأنبياء حق ، والرؤيا أحد وجوه الوحى إلى الأنبياء وقد أقبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ على ذبح ابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ ، لأنه رأى فى المنام أنه يذبحه ، فاعتبر ذلك وحيا من الله إليه بذبح ابنه ، واعتبر ابنه ذلك أمرا من الله لأبيه بذبحه ، فاستسلم لأمر الله وأبيه طاعة وانقيادا .

قال عبيد بن عمير : " رؤيا الأنبياء وحى ، ثم تلا هذه الآية [ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ][٢] .

لكن إذا ما رأى النبى رؤيا فى المنام ، فتأخر تحقيقها ، فإن هذا لا يقدح فى صدقها فقد تتحقق بعد سنوات ، لأنه لم يذكر فى الرؤيا أنها موقتة بوقت ، حتى إذا لم تتحقق فيه تقول المنافقون وشكك المشككون ، وقد رأى يوسف ـ عليه السلام ـ رؤيا فقصها على أبيه الذى نصحه بعدم قصها على اخوته لينجو من خطر كيدهم . كما فى قوله تعالى [ إذ قال يوسف لأبيه يا أبتى إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ][٣]. وبعد سنوات يرى يوسف ـ عليه السلام ـ فى اليقظة نفس المشهد الذى رآه فى المنام منذ زمن بعيد فأعلن أنه تأويل لرؤياه[٤] وفى ذلك قال تعالى [ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبتى هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ

---

(١) التفسير الكبير ٣٤٨/١٤

(٢) الصافات الآية : ١٠٢ وانظر تفسير ابن كثير ٢٣/٧ ط : الشعب .

(٣) يوسف الآية : ٥ ـ ٤

(٤) سيأتى بيان المدة التى كانت بين رؤيا يوسف وتفسيرها .

أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ][١] .

ومعنى الآيتين اللتين ذكرتهما قبل هذه الآية : إذ قال يوسف لأبيه .. من هنا بداية القصة :أى اذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب : يا أبى إنى رأيت فى المنام هذه الرؤيا العجيبة ، رأيت أحد عشر كوكبا من كواكب السماء خرت ساجدة لى ، ورأيت أيضا ـ فى المنام ـ الشمس والقمر ساجدة لى مع الكواكب . قال ابن عباس :كانت الرؤيا فيهم وحيا[٢] . قال المفسرون : الكواكب الأحد عشر كانت اخوته ، والشمس والقمر أبواه ، وكان سنه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة ، وبين هذه الرؤيا واجتماعه بأبيه واخوته فى مصر أربعون سنة[٣] فقال له يعقوب : يا بنى لا تخبر بهذه الرؤيا اخوتك ، فيحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لا تقوى على ردها . إن الشيطان ظاهر العداوة للإنسان .

قال أبو حيان : فهم يعقوب من ريا يوسف أن الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة ، وينعم عليه بشرف الدارين ، فخاف عليه من حسد اخوته فنهاه عن أن يقص رؤياه عليهم[٤].

ومعنى هذه الآية التى ذكرتها بعد الآيتين السابقتين من سورة يوسف والتى قد تضمنت تفسير رؤياه عليه السلام الواردة فى تلك الآيتين أول السورة : يقول تعالى : [ ورفع أبويه على العرش ] ، أى أجلسهما على سرير الملك بجانبه ، وسجد له أبوه وأمه واخوته حين دخولهم عليه وكان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة ، وقال يوسف : يا أبتى هذا تفسير الرؤيا التى رأيتها فى منامى وأنا صغير ، قد جعلها ربى صدقا حيث وقعت كما رأيتها فى النوم .

قال فى الفتح : والمراد أن معنى قوله : [ تأويل رؤياى ] أى التى تقدم ذكرها وهى رؤية الكواكب والشمس والقمر ساجدين له ، فلما وصل أبواه واخوته إلى مصر ودخلوا

---

[١] يوسف الآية : ١٠٠

[٢] المراد بقوله : فيهم : أى آل يعقوب لأنهم أنبياء . انظر تفسير الطبرى ١٥١/١٢

[٣] حاشية الصاوى على الجلالين ٢٣٤/٢

[٤] البحر المحيط ٢٨٠/٥

عليه وهو فى مرتبة الملك وسجدوا له وكان ذلك مباحا فى شريعتهم فكان التأويل فى الساجدين ، وكونها حقا فى السجود ، وقيل التأويل وقع أيضا فى السجود ولم يقع منهم السجود حقيقة ، وإنما هو كناية عن الخضوع والأول هو المعتمد ـ عن قتادة فى قوله : [ وخروا له سجدا ] قال : " كانت تحية من قبلكم ، فأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة وفى لفظ :

" وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض " قال الطبرى : أرادوا أن ذلك كان بينهم لا على وجه العابدة بل الإكرام[١] .

واختلف فى المدة التى كانت بين الرؤيا وتفسيرها ، فأخرج الطبرى والحاكم والبيهقى فى الشعب بسند صحيح عن سلمان الفارسى قال : " كان بين رؤيا يوسف وعبارتها أربعون عاما "[٢] وقيل : ثمانون سنة . وقيل : ثلاث وثمانون سنة . وقيل خمس وثلاثون سنة ، وقيل : تسعون سنة . وقيل : اثنتان وثمانون سنة . وقيل : اثنتان وعشرون . وقيل : سبع وسبعون . وقيل : ثمان عشرة سنة . والأول أقوى والله أعلم )[٣]

ونعود إلى ما كنا بصدده من تفسير قوله تعالى : [ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم .. ][٤] .

ومعنى قوله تعالى : [ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ] : أى جعل رؤياه صادقة محققة ، ولم يجعلها أضغاث أحلام ، وإن كان تفسيرها لم يقع إلا بعد ذلك فى عمرة القضاء أو أنه أخبر تعالى أن الرؤيا التى أراها الله تعالى إياه مخرجة إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام حق وصدق أو أنه أراه الرؤيا الصادقة . أو لقد صدق الله رسوله الريا بالحق ، أى صدقه فى رؤياه ، أى حقق صدقها عنده . بكل ذلك قال المفسرون )[٥] والله أعلم .

---

[١] فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٣٧٦/١٢ . وانظر تفسير الطبرى ٧٣/١٣

[٢] كما سبق ذكره والإشارة إلى مصدره قريبا .

[٣] فتح البارى لابن حجر ٣١٧/١٢

[٤] سبق ذكر هذه الآية وتخريجها أول هذا المبحث .

[٥] حاشية الجمل على الجلالين ١٧٠/٤

أما قوله : [ ولتدخلن المسجد الحرام ] هذه الجملة بيان لجملة : " صدق الله " لأن معنى : " لتدخلن " تحقيق دخول المسجد الحرام فى المستقبل . فهى استئناف بيانى عن جملة : " صدق الله " أى سيكون ذلك فى المستقبل لا محالة فينبغى الوقف عند قوله : " بالحق " ليظهر معنى الاستئناف فيعلم منه أن الرؤيا إخبار بدخول لم يعين زمنه فهى صادقة فيما يتحقق فى المستقبل . وهذا تنبيه لمن لم يتفطنوا لذلك ، فجزموا بأن رؤياه دخول المسجد ، تقتضى دخولهم إياه أيامئذ ، وما ذلك بمفهوم من الرؤيا ، وكان حقهم أن يعلموا أنها وعد لم يعين إبان موعوده ، وقد فهم ذلك أبو بكر إذ قال لهم : إن المنام لم يكن موقتا بوقت ، وأنه سيدخل ، وقد جاء فى سورة يوسف [ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل ][1] .

وقوله : " إن شاء الله " شرط من شأنه أن يزيل به الخبر المستقبل إذا كان حصوله متراخيا ، ولا يفهم من قائله أنه يفعل ما وعد به فى الحال أو فى المستقبل القريب ، يل يفعله بعد زمن ، ولكن مع تحقيق أنه يفعله .

لكن يرد هنا سؤال يقال فيه : إنه تعالى خالق لكل الأشياء ، عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع التعليق منه تعالى بالمشيئة ، مع أن التعليق إنما يكون إذا كان المخبر شاكا فى وقوع المعلق والله سبحانه منزه عن ذلك ؟ والجواب عنه من وجوه ـ كما قال الجمل :-

أولا : أنه تعليم للعباد لكى يقولوا مثل ذلك ، وفيه أيضا تعريض بأن دخولهم مبنى على مشيئة الله تعالى ذلك ، لا على جلادتهم وقوتهم وهذا معنى ما قيل استثنى الله فيما يعلم ، ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون .

ثانيا : أن الموعود دخولهم جميعا ، وعلقه بمشيئته ، إشعارا بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو غير ذلك .

ثالثا : أنه يجوز أن يكون التعليق من قبل الملك الذى ألقى على النبى ﷺ كلام الله وهو قوله لتدخلن المسجد الحرام آمنين الخ . فعلى هذا قوله لتدخلن تفسير للرؤيا ، وليس

---

[1] سورة يوسف جزء من الآية /١٠٠ وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩٩/٢٦

استئنافا كما سبق . فإن ذلك الملك لما ألقى عليه ــ عليه السلام ــ فى رؤياه هذا الكلام ، أدخل فيه هذه الكلمة تبركا ، ولما رضى به تعالى ألقاه كذلك على لسان جبريل .

رابعا : أنه من كلام الرسول ﷺ )[١]

أقول : ونحن مع الجمل فيما أورده فى رقم : أولا وثانيا تعليقا على قوله تعالى : [ إن شاء الله ] ولسنا معه فيما ذكره فى ثالثا الذى يقول فيه : إن . إن شاء الله من كلام الملك . ولسنا معه أيضا فيما أورده فى رابعا الذى يقول فيه : إن . إن شاء الله من كلام الرسول ﷺ . فما كان للملك وهو أمين الوحى أن يزيد شيئا على ما أمر بتبليغه للنبى ﷺ وما كان للنبى ﷺ أن يزيد شيئا من عنده على ما جاءه من عند الله ، وأمر بتبليغه ، لأن الجمل بذلك القول منه يؤيد أعداء الإسلام الذين ادعوا أن القرآن من عند محمد ، وما كان للجمل أن تكون منه هذه الهفوة . وقد قال ابن حجر فى الفتح : واختلف فى معنى قوله :[ إن شاء الله ] فى الآية فقيل : هى إشارة إلى أنه لا يقع شئ إلا بمشيئة الله تعالى ، وقيل : هى حكاية لما قيل للنبى ﷺ فى منامه . وقيل : هى على سبيل التعليم لمن أراد أن يفعل شيئا مستقبلا كقوله تعالى : [ ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله .. ][٢] وقيل : هى على سبيل الاستثناء من عموم المخاطبين ، لأن منهم من مات قبل ذلك أو قتل )[٣] .

وهذا الذى ذكره ابن حجر أقرب إلى الصواب مما قاله الجمل لأن الصحابة رضى الله عنهم قد جردوا المصحف من كل ما ليس بقرآن ولم يضعوا فيه إلا ما نزل من عند الله تعالى .

قوله تعالى : [ آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ]

قال القرطبى :آمنين من عدوكم ، والتحليق والتقصير جميعا للرجال ؛ ولذلك غلب المذكر على المؤنث . والحلق أفضل . وليس للنساء إلا التقصير )[٤] .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٤/١٧٠

(٢) الكهف الآية : ٢٣ وجزء من الآية : ٢٤

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ١٢/٣٦٢

(٤) تفسير القرطبى ٩/٦٣٤٢

قال الرازى : وهذا إشارة إلى أنهم يتمون الحج من أوله إلى آخره ، فقوله : " لتدخلن " إشارة إلى أوله . وقوله " محلقين " إشارة إلى آخره ، و " محلقين " حال الداخلين والداخل لا يكون إلا محرما والمحرم لا يكون محلقا . فقوله : " آمنين " ينبئ عن الدوام فيه إلى الحلق ، فكأنه قال : تدخلونه آمنين متمكنين من أن تتموا الحج محلقين )[١] .

ذلك لأنهم فى حال إحرامهم لم يكونوا محلقين ومقصرين ، وإنما كان هذا فى ثانى الحال ، كان منهم من حلق ، ومنهم من قصر وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : " رحم الله المحلقين " قالوا : " والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : " رحم الله المحلقين " قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : " رحم الله المحلقين " . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : " والمقصرين " فى الثالثة أو الرابعة "[٢] .

قوله " لا تخافون " فى الجملة السابقة أثبت لهم الأمن حال الدخول ، وفى هذه الجملة نفى عنهم الخوف حال استقرارهم فى مكة لا يخافون من أحد . وهذا كان فى عمرة القضاء ، فى ذى القعدة سنة سبع .

قال ابن عاشور : وجملة " لا تخافون " فى موضع الحال ، فيجوز أن تكون مؤكدة لـ " آمنين " تأكيدا بالمرادف ، للدلالة على أن الأمن كامل محقق ، ويجوز أن تكون حالا مؤسسة ، على أن "آمنين" معمول لفعل " تدخلن " وأن " لا تخافون " معمول لـ " آمنين " . أى : آمنين أمن من لا يخاف ، أى لا تخافون غدرا ، وذلك إيماء إلى أنهم يكونون أشد قوة من عدوهم الذى أمنهم ، وهذا يومئ إلى حكمة تأخير دخولهم مكة إلى عام قابل ، حيث يزدادون قوة واستعدادا وهو أظهر فى دخولهم عام حجة الوداع )[٣] .

قال الجمل : قوله " لا تخافون " أى أبدا ، حتى بعد فراغ الإحرام ، فـ " لا تخافون " غير مكرر مع " آمنين " فإن قيل : قوله " لا تخافون " معناه غير خائفين . وذلك يحصل بقوله : " آمنين " فما الفائدة فى إعادته ؟

---

[١] تفسير الرازى ١٤/٣٤٩ . بتصرف .

[٢] صحيح البخارى ك : الحج ب : الحلق والتقصير ٢/٢١٣ و صحيح مسلم ك : الحج ب : تفضيل الحلق على التقصير ٤/٨٠ ـ ٨١

[٣] التحرير والتنوير ٢٦/٢٠٠

أجيب بأن فيه كمال الأمن لأن التحلل من الإحرام ، لا يحرم القتال ، وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم ، فقال : لتدخلن آمنين ، وتحلقون ، ويبقى أمنكم بعد خروجكم من الإحرام )[١] .

قوله تعالى : [ فعلم ما لم تعلموا ] هذا هو شأن الحق جل وعلا وصفته ، فهو سبحانه علم ما لم تعلم ، بل هو الذى علم والخلق لا يعلمون كما قال تعالى : [ .. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ][٢] .

ولا ريب أن بعض الصحابة كره الصلح ، وعدم القتال ، والعود إلى المدينة دون أداء العمرة ، ودخول مكة عنوة وهنا يبين تعالى أن الخير والمصلحة فيما قدر وأراد ، ولا يمكن أن يفعل لرسوله إلا ما فيه كل الخير له ولأمته ، ومن ذلك صلح الحديبية ، الذى علم الله تعالى ما فيه من الخير ما لم يعلم أصحاب النبى ﷺ .

قال القرطبى : قوله : " فعلم ما لم تعلموا " أى علم ما فى تأخير الدخول من الخير والصلاح ما لم تعلموه أنتم . وذلك أنه عليه السلام ، لما رجع ، مضى منها إلى خيبر فافتتحها ، ورجع بأموال خيبر ، وأخذ من العدة والقوة أضعاف ما كان فيه ذلك العام ، وأقبل إلى مكة على أهبة وقوة وعدة بأضعاف ذلك .

وقال الكلبى : أى علم أن دخولها إلى سنة ، ولم تعلموه أنتم .

وقيل : علم أن بمكة رجالا مؤمنين ، ونساء مؤمنات لم تعلموهم[٢] .

قوله : [ فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ] أى من دون رؤيا النبى ﷺ فتح خيبر .

وقيل : فتح مكة . وقيل : هو صلح الحديبية . قال الزهرى : ما فتح الله فى الإسلام فتحا كان أعظم من صلح الحديبية ؛ لأنه إنما كان القتال حين تلتقى الناس ، فلما كانت الهدنة

---

[١] حاشية الجمل على الجلالين ١٧١/٤

[٢] البقرة جزء من الآية /٢١٦

[٢] تفسير القرطبى ٦٣٤٢/٩

وضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تينك السنين فى الإسلام مثل ما كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر . يدلك على ذلك أنهم كانوا سنة ست يوم الحديبية ألفا وأربعمائة ، وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان فى عشرة آلاف )[1] .

## ما الحكمة فى إراءة الله رسوله تلك الرؤيا ؟

وفى الحكمة من تلك الرؤيا قال صاحب التحرير : وكأن الحكمة فى إراءة الله رسوله ﷺ تلك الرؤيا أيامئذ ، وفى إخبار الرسول ﷺ أصحابه بها : أن الله أدخل بذلك على قلوبهم الثقة بقوتهم وتربية الجراءة على المشركين فى ديارهم فتسلم قلوبهم من ماء الجبن فإن الأمراض النفسية إذا اعترت النفوس ، لا تلبس أن تترك فيها بقايا الداء زمانا ، كما تبقى آثار المرض فى العضو المريض بعد النقاهة زمانا حتى ترجع إلى العضو قوته الأولى بعد مدة مناسبة )[2]

## البلاغيات وأسرار التعبير :

والآية زاخرة بالأسرار التعبيرية القرآنية والتراكيب البلاغية التى توحى بالكثير من المعانى والمفاهيم ، ومن ذلك :

١ــ توكيد الخبر بحرف " قد " ولام القسم ، لإبطال شبهة المنافقين الذين قالوا : فأين الرؤيا ؟ وهذا تطمين لهم ، بأن ذلك سيكون لا محالة ، وهو فى حين نزول الآية لما يحصل بقرينة قوله[إن شاء الله]

٢ــ وأقول أن الله سبحانه وتعالى بدأ الآية بالفعل الماضى " صدق " وجاء بعد ذلك بالفعل المضارع " لتدخلن " وتحقق مضمون هذه الآية جاء بعد نزولها بعام فكان المناسب أن يقال مثلا : " ليصدق الله رسوله الرؤيا " حتى يناسب اللفظ الواقع باعتبار أن الفعل المضارع يدل على الحال والإستقبال لكن إيثاره التعبير بالفعل الماضى " صدق " فى أمر سيتحقق فيما

---

(١) تفسير القرطبى ٦٣٤٢/٩

(٢) التحرير والتنوير ــ الطاهر بن عاشور ١٩٨/٢٦

بعد مشعر بتحقيق الوقوع فكأنه وقع بالفعل ويخبر به ، وهذا كما أخبر الله عز وجل عن مجئ يوم القيامة وهو لم يأت بعد بالماضى فى قوله تعالى [ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ][1].

٢ــ قوله " محلقين رؤوسكم ومقصرين " والحلق والتقصير كناية عن إتمام الحج والعمرة ، وذلك من استمرار الأمن ، على أن هذه الحالة حكت ما رآه رسول الله ﷺ فى رؤياه ، أى يحلق من رام الحلق ويقصر من رام التقصير أى لا يعجلهم الخوف عن الحلق ، فيقصروا على التقصير .

وأقول : وفيه أيضا مجاز بالحذف ، والأصل : محلقين شعر رؤوسكم ومقصرين شعرها .

٣ــ وفى إيثار فعل " جعل " فى هذا التركيب دون أن يقول : فتح لكم من دون ذلك فتحا قريبا ، أو نحوه ، إفادة أن هذا الفتح أمره عجيب ما كان ليحصل مثله لولا أن الله كونه . وصيغة الماضى فى " جعل " لتنزيل المستقبل المحقق منزلة الماضى ، أو لأن" جعل " بمعنى " قدر" [2]

## الخلاصـــــــة :

نخلص مما سبق إلى أمرين مهمين :

أولهما : أن الذى أرسل رسوله ﷺ بدين الحق ، ما كان ليريه رؤيا غير صادقة .

ثانيهما : أن رؤيا الرسول ﷺ وحى من الله تعالى ، والمؤمنون يعلمون هذين الأمرين والله سبحانه وتعالى يذكرهم بهاتين الحقيقتين المعلومتين عندهم ، حين لم يجروا على موجب العلم بهما ، فخامرتهم ظنون لا تليق بمن يعلم بأن رؤيا الرسول وحى ، وأن الموحى له هو الذى أرسله ، فكيف يريه رؤيا غير صادقة . وفى هذا تذكير ولوم للمؤمنين ــ الذين غفلوا عن هذا ــ وتعريض بالمنافقين ــ الذين أدخلوا التردد فى قلوب المؤمنين )[3] .

---

(١) النحل آية (١)

(٢) المرجع السابق ٢٦/ ١٩٨ ــ ٢٠٠ وأنظر تفسير الرازى ٣٤٩/١٤

(٣) التحرير والتنوير ــ الطاهر بن عاشور ٢٠١/٢٦ بتصرف .

## المعنى الاجمالى للآية :

والمعنى : لقد جعل الله تعالى رؤيا رسوله ﷺ رؤيا صادقة ، بمعنى أن ما رآه فى المنام سوف يفعله فى اليقظة ، هو هو ، وعليه فسوف يدخل الرسول وأصحابه المسجد الحرام ، إن لم يكن عاجلا فآجلا بمشيئة الله تعالى ، يدخلون آمنين ، ويباشرون مناسك عمرتهم آمنين ، ويخرجون من الحرم آمنين ، وهو ما كنى عنه بالحلق والتقصير ، فلكل معتمر أن يفعل منهما ما يروم له ، لتوفر الأمن ، يفعلون ذلك وهم آمنون أمن من لا يخاف وقد جعل الله من قبل ذلك الدخول فتح خيبر وصلح الحديبية وغيره ، لحكم بدت للمؤمنين مستقبلا واضحة جعلتهم يؤمنون بأن الخير فيما قضى الله تعالى لهم لا فيما كانوا يريدونه هم لأنفسهم ، من استعجال دخول الحرم عام الحديبية ، ذلك أن الله تعالى قد علم ما فى صلح الحديبية من الخير والمصلحة ، ما لم يعلموا ، حيث أنهم قد دخلوا مكة فى العام التالى ، وهم أكثر عددا وعدة ، وأشد قوة ، بعد أن حطموا آخر معقل لليهود فى جزيرة العرب ، وقد دخل الإسلام فى تلك السنة أضعاف من دخله قبل ذلك الصلح[1] . أ . هـ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) أنظر فى ذلك كله السيرة النبوية لابن هشام ١٦٥/٣ ــ ٢٠٣ ط : دار البيان العربى . ت د / محمد السرجانى . والعرب فى ظهور الإسلام د/ مصطفى النجار ص : ٤٩٧ ــ ٥٦٧ ط : شركة الطباعة الفنية المتحدة . وعيون الأثر .. لابن سيد الناس ١١٣/٢ ــ ١٥٨ ط : القدس .

## الخاتمة

الحمد لله الأول والآخر ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــــد ،،

فهذه رحلة قصيرة مع بعض جوانب الصدق الإلهى فى القرآن الكريم ، بقى بعد ذلك أن أذكر أهم النتائج والعبر التى توصلت إليها من خلال معايشتى لهذا البحث ، وهى كثـيرة من أهمها :

١ــ أن الصدق المطلق المجرد من الكذب ، من الأمور التى تجب فى حق الله ــ تعـــالى ــ ويستحيل عليه ــ سبحانه ــ ضده ، وهو الكذب .

٢ــ أن الله ــ تعالى ــ صادق ــ فى كل ما أخبر به أنبياءه ورسله ، من خلال كتبه المنزلة عليهم ، ووحيه إليهم . ومن اعتقد غير ذلك فقد خرج من حظيرة الإيمان .

٣ــ أن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين ، وهم أهل كفر وعناد ، وجدل ، من طباعـــهم التقول على الله ــ سبحانه ــ بغير علم ، وادعاء الباطل بغير حجـــة وبرهـان ، وتصيـد الشبهات التى تثير التردد والشكوك بين جماعة المسلمين ، ويظهرون وترتفع أصواتـــهم ، كلما بدت لهم شبهة ، فإذا أقيمت عليهم الحجة ، وبطل دليلهم ، اختفوا وخفتت أصواتهم .

٤ــ أن كتب الله ــ تعالى ــ المنزلة على رسله ، لا تتعارض فى الأصـــول ، أو المســائل العامة ، بل يصدق بعضها بعضا ، لأن منزلها واحد .

٥ــ أن ملة إبراهيم ــ عليه السلام ــ هى الملة التى يجب إتباعها ، لأنها مبرأة من الشرك والوثنية ، وأن إبراهيم ــ عليه السلام ــ ما كان مشركا قط ، ولا يهوديا ، ولا نصرانيـــا ، بل كان حنيفا مسلما .

٦ــ أن رؤيا الأنبياء وحى ، وأن الله ــ تعالى ــ الذى أرسلهم ، لا يتأتى منه ــ سبحانه ــ أن يريهم رؤيا غير صادقة .

٧ــ أن صلح الحديبية يعد فتحا عظيما للإسلام ، حيث وفر لأتباعه الأمان وضاعف من أهل الإيمان .

٨ ــ أن للبيت الحرام حرمة مقدسة ، لدى المسلمين وغيرهم من العـــرب ، وأن للعـــهود والمواثيق حرمة ، ينبغى أن تراعى وتقدس من طرف المتعاهدين ، حفاظا على نظام الحياة الصحيح .

هذه بعض النتائج التى توصلت إليها ، من خلال بحثى هذا ، وهناك الكثير والكثـــير مما تضمنه ذلك البحث ، وتلك هى الخاتمة ، التى ختمت بها بحثى ، وأرجو الله ســـبحانه وتعالى أن يحسن خواتمنا ، ثم وهذا بحث متواضع ، بذلت فيه وسعى ، فإن وفقت فبفضـل الله وعونه ، وإن كان هناك بعض التقصير ، فهذه طبيعة البشر ، والكمال المطلق لله تعالى والكمال البشرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

## أهـم المراجـــــع


١ــ القرآن الكريم جل من أنزله .

٢ــ تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير- دار الشـــعب . ت . د/ محمـــد إبراهيـــم البنـــا وآخرين

٣ــ تفسير الجلالين بهامش الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين

٤ــ التحرير والتنوير ــ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية .

٥ــ التعريفات ــ الشريف على بـــن محمـــد الجرجـــانى ــ دار الكتـــب العلميـــة بـــيروت ١٤٠٨ هـــ / ١٩٨٨م .

٦ــ جامع البيان فى تأويل القرآن ــ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . دار الغد .

٧ــ الجامع لأحكام القرآن ــ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فـــوح الأنصارى القرطبى ــ دار الغد الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـــ / ١٩٩٠ م .

٨ــ الجنى الدانى فى حروف المعانى ــ للحسن بن قاسم المرادى ــ دار الكتـــب العلميـــة بيروت . ت . د / فخر الدين قباوه وآخر .

٩ـ رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ـ لأحمد المالقى ـ المجمع اللغوى بدمشق . ت . د / أحمد الخراط .

١٠ـ سنن الترمذى ط دار إحياء التراث العربى بيروت طبعة أولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م

١١ـ السيرة النبوية ـ لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى دار التوفيقية ت / محمد السرجانى .

١٢ـ صحيح الإمام البخارى .

١٣ـ صحيح الإمام مسلم .

١٤ـ صفوة التفاسير ـ محمد على الصابونى ـ مكتبة الغزالى .

١٥ـ عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ـ محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس ـ مكتبة القدس ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٦ـ العرب وظهور الإسلام ـ د / محمد مصطفى النجار شركة الطباعة الفنية المتحدة .

١٧ـ فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق .

١٨ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل ـ عيسى الحلبى .

١٩ـ كلمات القرآن تفسير وبيان ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ دار المعارف .

٢٠ـ مختار الصحاح ـ للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ـ مكتبة لبنان .

٢١ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الحديث

٢٢ـ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ـ الإمام فخر الدين محمد بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الرازى الشافعى دار الغد ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .

٢٣ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الريان .

٢٤ـ المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ط : وزارة التربية والتعليم .

٢٥ـ الموطأ ـ الإمام مالك .